كلية: الآداب

القسم أو الفرع: اللغة العربية

المرحلة: الدراسات العليا/ الدكتوراه

أستاذ المادة: أ.د.ارميض مطر حمد

اسم المادة باللغة العربية: الخطاب النقدي والبلاغي

اسم المادة باللغة الإنكليزية:

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: الوصايا عند المظفر العلوي

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية:

محتوى المحاضرة الأولى

الوصايا عند المظفر العلوي

لم تكن دراسة الوصايا النقدية أمراً متيسراً ، أو مشاعاً عند الباحثين، ممّا تطلّب مني التقصي والمتابعة، بغية تلمس هذه الوصايا والوقوف على كنهها، ووضع آلية لدراستها، فتوجب عليَّ استقراء هذه الوصايا قراءة متأنية، ومعرفة القضية النقدية المراد إذاعتها إلى المتلقي، وقد لفتت نظري هذه الوصايا التي اقترن وجودها بولادة النتاج الإبداعي منذ أنْ كانت نصائح فطرية انطباعية، يطلقها الناقد من أجل توجيه الشاعر الوجهة الصحيحة، ليستقيم عمله ويكون مثالاً

يحتذى به؛ لأنّ الشاعر في بداية أمره كان فطرياً ومع ذلك كانت لغته سليمة وعروضه مستقيماً لا شية فيه، إلّا من بعض الهنات هنا وهناك؛ بسبب عامل الانتحال والرواية، بدليل أنّنا نجد للشاهد الشعري أكثر من رواية، ففي بعض الأحيان تثبت في الديوان رواية خاطئة بحاجة إلى تعديل، ونجد في موطن آخر رواية مغايرة تنطوي على صواب الفكرة ودقّة المعنى؛ لذلك غضّ العلماء الطرف عن كثير من هذه الهفوات، لأسباب عدّة تمثلت بإجلالهم للقديم، ونظرتهم إليه بوصفه مثالاً يتوجب على الآخرين السير على منواله، والاقتداء به؛ لأنّ الجاهليين نظموا شعراً ناضجاً من ناحيتي المبنى والمعنى، فضلاً عن جزالة اللفظ، ورصانة اللغة؛ لذلك اتّخذ اللغويون الشاهد الجاهلي وصولاً إلى ابن هرمة حجة في مناظراتهم، ودعم أفكارهم، فضلاً عن تقعيد القاعدة النحوية أو اللغوية؛ لذلك شدّد اللغويون الخناق على المحدثين؛ بسبب بعدهم عن البداوة، مما جعلهم ينظرون إلى لغة الشاعر المحدث نظرة مغايرة، ويعدّونها خارجة على الأصول والقواعد النحوية واللغوية؛ لذلك لم يتسامحوا معهم، للأسباب المذكورة، فضلاً عن أنّهم عاشوا مرحلة التدوين التي دوّنت فيها هذه الملاحظات على الشعراء، فضلاً عن العروض الذي رسّخ قواعده الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، من هذا المنطلق وجدنا المظفر العلوي (ت ٦٥٦هـ)، يضع مجموعة وصايا من شأنها الارتقاء بالنتاج الشعري إلى مرحلة يشار إليها بالبنان. إذ كان ينعى على المحدثين هذه الهفوات التي ينبغي عليهم تجاوزها؛ لأنّ المتقدمين وقعوا فيها، وقد أجاز بعض هذه الهنات، ولم يتسامح مع بعضها الآخر، متخذاً من الشاهد الجاهلي والإسلامي مثالاً لهذه الأخطاء، لتكون دليلاً يمكن عن طريقه التسامح مع الشاعر المولد، أو سبيلاً لتجاوز ما تمّت الإشارة إليه، ولا سيما كلُّ ما يتعلق باللحن، والعيوب العروضية التي تسامح فيها مع الأقدمين، بحجة أنّهم لم يألفوا المصنفات في هذا المجال، إلّا أن الشاعر المولد ألفها، ووقع نظره على ما كتبه النقاد عن هذه العيوب، فضلاً عن المشاحنات التي حدثت بين الشعراء، أمّا الأخطاء الأخرى من مدّ المقصور، وتأنيث المذكر، ووصل همزة القطع، وكسر نون الجمع...إلخ، فكان للمظفر توجيهاته التي اعتمد في بعضها على ما قاله السابقون، أمثال المبرد (ت ٢٨٥هـ)، وثعلب (ت ٢٩١هـ)، وابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، وقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، والمرزباني (ت ٣٨٤هـ)، والعسكري (ت ٣٩٥هـ)، وابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، ومعاصره ابن عصفور(ت ٦٦٩هـ). كل هؤلاء أفاد منهم المظفر العلوي، متّخذاً أقوالهم سبيلاً للارتقاء بالشعر العربي عامة والمولد خاصة إلى مرتبة عليا، على الرغم من أنّه لم

يعاصر المولدين، إلّا أنّه كان ينعى عليهم هذه الأخطاء، بغية وضعهم في مكانهم المناسب، ورفع الحيف الذي وقع عليهم، وإرشاد اللاحقين إلى ضرورة تجنب هذه الهفوات في مرحلة زمنية يتوجب على الشاعر أخذ العبرة، وتجاوز ما وقع به الأقدمون م... الباحث

انفتاحاً، لأنّهم قد اطلعوا على مدونات النحويين، واللغويين، والعرو...

أسهم في صقل موهبتهم الشعرية، وأنار السبيل أمامهم، لينظموا شعراً ينطوي على قيمة فنية، فضلاً عن خلّوه من التعقيد والالتزام بالمقاييس النحوية واللغوية، ومحاولة تجنب الضرورات التي لا داعي لها، فضلاً عن الدقّة في اختيار المفردات، ومراعاة مقام المخاطب، هذا لا يعني أنّنا نضع الشاعر في إطار محدد، بل هي دعوة إلى تنقية نظمه من الشوائب التي علقت بشعر مَن سبقه.

في ضوء ما تقدّم ، قسمت الدراسة على ثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول الوصايا ذات المنحى اللغوي، في حين خُصّص الفصل الثاني بدراسة الوصايا ذات المنحى الجمالي، أمّا الفصل الثالث، فقد بسطت القول فيه لدراسة الوصايا التي تتعلق بالألفاظ والمعاني، آمل أنْ تنال هذه الدراسة القبول والرضا.

الباحث

إنّه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

اولا: الوصية لغةً واصطلاحاً:

احاط علماء اللغة بهذه المفردة وضمنوها في معجماتهم، بغية لفت نظر المتلقي الى معناها والدلالة التي ترشد اليها، عن طريق تحديدها مفردة او معاينتها داخل السياق. اذ قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الواو والصاد والحرف المعل، أصل يدلُّ على وصل شيء بشيء، ووصيت الشيء: وصلته، ويقال: وطئنا ارضاً واصية، أي أن نبتها متصل قد امتلأت منه ، ووصيت الليلة باليوم: وصلتها، وذلك في عمله تعملة، والوصية في المقياس كأنه كلام يوصي أي يوصل. يقال: وصيته توصية، واوصيته إيصاء"[١]، وقال الجوهري (ت ٣٩٣هـ): " أوصيت له بشيء وأوصيت إليه، إذا جعلته وَصِيَّكَ. والاسم الوِصاية والوَصاية، بالكسر والفتح. وأوصيته ووصيته أيضا تَوْصِيَةً بمعنًى. والاسمُ الوَصاةُ. وتَواصى القوم، أي أوْصى بعضُهم بعضاً، ووصيّت الشيء بكذا، اذا وصلته، قال ذو الرمة:

نصـــي الليـــل بالايام حـــتى صـــلاتنا مُقاسَمـــةٌ يشـــتقُّ أنْصـــافَها السَـــفْرُ"[٢]

اما ابن منظور (ت٧١١هـ) فقد رأى أنّ الوصية متصلة بأمور تخص الميت من دون الاحياء، ولكنه في موطن اخر وجدها بمعنى اتصال الشيء بالشيء، فيقال: "وصّى الرجل وصيا: وصله، ووصى الشيء بغيره وصيا. ووصيت الشيء ووصلته سواء... وفلاةٌ واصيةٌ: تتصل بفلاة اخرى، وأرض واصية: متصلة النبات اذا اتصل نبتها، وربما قالوا: تواصى النبت اذا اتصل، وهو نبت واصٍ، وأوصى الرجل ووصّاه عهد اليه"[٣]. والأمر نفسه عند الفيروزآبادي[٤]، والزبيدي[٥]. تبين لنا من خلال استقراء مفهوم الوصية على مستوى اللغة أنها تدل على معنيين متشابهين هما: الاتصال، والعهد، لأنّ ذلك يستلزم عهداً بين الطرفين الموصي والموصى له، بضرورة الالتزام بما يوصى به؛ لأنّ الوصية عهد وميثاق يتوجب عدم نكثه أو بطلانه سواء أكانت الوصية من رجل قبيل وفاته أو من انسان لأولاده بضرورة الحفاظ على ما سيتم الإيصاء به.

الوصية اصطلاحا: يكاد يتفق العلماء على تحديد مفهوم الوصية من ناحية المضمون، فقد حدّدها الراغب

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (وصى).
(٢) الصحاح، مادة (وصى).
(٣) لسان العرب ، مادة (وصى).
(٤) القاموس المحيط ،مادة (وصى).
(٥) تاج العروس، مادة (وصى).

الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ): بأنها ما يقدم الى المتلقي مقرونا بالوعظ[٦]. في حين رأى ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): "انها عهد خاص مضاف لما بعد الموت، وقد يصحبه التبرع، وتطلق شرعاً أيضاً على ما يقع به الزجر عن المنهيات، والحثّ على المأمورات"[٧]. إذ إنَّ المدقق بقول العسقلاني يجد الوصية مقرونة بالنهي عما يتوجب الكف عنه، والحث على الالتزام على ما يتوجب السعي الى تنفيذه وعدم التحرج منه، وآية ذلك ما دوّنه البقاعي (ت ٨٨٥هـ) في كتابه من أن الوصية "هي التقديم في الشيء النافع المحمود عاقبته"[٨]. أمّا الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، فقد رأى الوصية أنها تقديم ما فيه صلاح وقربة الى الاخرين، سواء أكان الموصي في حالة الاحتضار أم غير ذلك، أو كان التقديم بالقول او بالدلالة[٩].

أمّا المعاصرون فقد حدّدوها تحديداً لا يختلف عن اسلافهم، فهذه الدكتورة روناك توفيق عرفت الوصية أنها "نوع من الآداب، غايته التوجيه، والارشاد، والحث على اكتساب المحامد ، أو التبصر بحسن السياسة ، أو الدعوة الى مكارم الاخلاق[١٠]. عليه فالوصية توجيه وحث على المحمود من الافعال، بغية الوصول الى الثناء والحمد، وهي "الثمرة الفكرية التي يكتسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية، ومن تفاعل هذه التجارب مع بيئته ومجتمعه "[١١].

مما تجدر الاشارة اليه أن الوصية تؤتي أكلها في الانسان المدرك، فهي كالمطر في الارض الخصبة التي يرجى عشبها، لأن الوصية في الانسان الجاهل لا يمكن أن تأخذ مداها أو يرجى الأخذ بها ، لذلك عرّفها الدكتور مُحَمَّد نايف الدليمي "إنها نوع من أنواع الأدب الحي، الرفيع المنزلة من الشعر والنثر، تنتقى ألفاظها انتقاءً ممتازاً، يطلقها مجرب حياة، ومختبر دنيا، فيشرع فيها نهجاً قويماً وسلوكاً تنظيمياً لإنسان عزيز عليه ، أو مهم لديه، يبصره ما ينبغي عليه أن يفعله فيما يستقبل من حياة"[١٢].

ثانياً: مضامين الوصية الأدبية:

تتضمن الوصية الأدبية أمراً بصيغة الالتماس يصدر من النقاد الى جمهرة من الشعراء، ليس بقصد السخرية أو الاساءة اليهم ، أو اعلان بطلان شعر الشاعر، أو التقليل من شأنه ، بل على العكس الغرض من هذه الوصية

---

(٦) المفردات في غريب القرآن، مادة(وصى).

(٧) فتح الباري:٤٣٦/١.

(٨) نظم الدرر:٢٤٥/١.

(٩) روح المعاني:٣٨٦/١.

(١٠) وصايا الادباء والخلفاء:١٤.

(١١)أدب الوصايا في العصر الجاهلي، مجلة البيان:٢٧،ع٢٠٨، لسنة١٩٨٣.

(١٢) جمهرة وصايا العرب:١٨/١.

الرفع من مكانته وتنبيهه الى مواطن الزلل في شعره،كما حدث للنابغة عندما اصر على إقوائه، ولكنّه بعد مدة تنبه الى ذلك. فالمتعارف عليه أن الوصية تصدر لتعديل سلوك ما والدعوة الى التزام الخلق الرفيع والقيم النبيلة، بغية ترسيخ اسسها ودعائمها في المجتمع كي تسود العدالة والمحبة بين الناس. أما الوصية الادبية فلها خصوصيتها لا شأن لها بسلوكيات الشعراء، إنما هي منبه الى ما يقعون فيه من هفوات وأخطاء على المستويات جميعها، سواء أكانت في اللغة أم في العروض أم في مخالفة الشعراء في تشبيهاتهم واستعاراتهم. هذا لا يعني أن الوصايا جميعها صائبة؛ لأنه قد لا يدرك الموصي الضرورة التي ألحّت على الشاعر أنّ يأتي بها، أو لم يفهم ما يريده الآخر، هذا ما حدث مع أبي تمّام – على سبيل المثال لا الحصر– إذ إن بعض الوصايا لم تكن موفقة، لأسباب شخصية أو سياسية ، أو لأمور تتعلق بالقديم والمحدث ،أو عدم التزام الشاعر بمقررات عمود الشعر، أو لمعيار أخلاقي أو عدم التآلف مع استعاراته. الامر الذي دفع النقاد الى استهجان شعره والوقوف ضده؛ لذلك جاءت الوصية لترشد الشعراء الى ضرورة الالتزام بالصائب من النظم والسير على منوال المحكم من القول بعيداً عن المبالغة والغلو.

لم تكن الوصية مختصة بشاعر محدد، بل هي دعوة الى الشعراء الاخرين بالإقلاع عن الخطأ الذي تم رصده، وعدم اللجوء اليه، بغية تهذيب الشعر وتنقيته مما علق به من شوائب، لذلك عمدت الى دراسة وصايا المظفر العلوي؛ لأنني وجدتها شاملة لأفكار سابقيه لاسيما ابن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ)، والمرزباني (ت ٣٨٤هـ)، إذ إن لهذين الناقدين الكبيرين تأثيراً واضحاً لُمِس في فكر المظفر العلوي، ولكنه في مواطن أخرى أجده مجدداً، فكانت وصاياه نابعة من حرصه الشديد على تخليص الشعر العربي من هذه الهفوات وارشاد الشعراء الاخرين الى تركها وعدم الركون اليها، بغية الوصول بنتاجهم الشعري الى مرحلة تقرب من النضج –والاكتمال.

ثالثاً: الوصية الجذور والبدايات

ربّما يظّن بعض الباحثين أنّ الوصايا النقدية وليدة العصر العباسي، وهذا وهم؛ لأنّها تزامنت وظهور النتاج الإبداعي، فكانت على شكل تصويبات رام الناقد من ورائها توجيه الشاعر نحو الأصوب، كي يحسّن من مسيرته الأدبية، ولعلّ أوّل وصية نقدية تطالعنا، تمثّلت بتعليق النعمان بن المنذر على بيت النابغة الذبياني:

تَـــراك الأرضُ إمَّـــا مـــتَّ خِفّـــاً وتَحْـــيَى إنْ حَيِيـــتَ بهـــا ثَقِـــيلا[١٣]

(١٣) ديوان النابغة:٧١.

فقال النعمان: «هذا بيتٌ إن أنتَ لم تتبعه بما يوضّح معناه ،كان إلى الهجاء أقرب منه إلى المديح»[١٤]، فأراد النابغة ذلك فعسر عليه، ممّا اضطره إلى الذهاب إلى زهير بن أبي سلمى «فأخبره الخبر، فقال زهير: اخرج بنا إلى البريّة ... فخرجا، فتتبعهما كعب... فتجاولا البيت مليّاً، فلم يأتهما ما يريدان، فقال كعب: فما يمنعك أن تقول:

وذاك بأنّ حَلَلْـــتَ العـــزّ منهـــا فتمنـــعُ جانبيهـــا أنْ يـــزولا[١٥]»

إذ إنّ هذا البيت كما يقول الدكتور داود سلوم: « أقرب إلى القبول والاطمئنان من حيث كونه ممكن الوقوع، وممكن الإدراك، وإنّ التعليق من ملك يعرف لغته يستمع إلى شاعر يكلمه بتلك اللغة أمر ليس فيه بأس[١٦]

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الأموي، نجد الوصايا تتخذ منحًى آخر، تمثل بالتعفف في الكلام، والالتزام بالقيم والأعراف، والتدقيق في استعمال المفردة اللغوية، من ذلك تعليق ابن أبي عتيق على أحد المعجبين بقول الحارث بن خالد المخزومي:[١٧]

إنّي ومـــا نَحَـــرُوا غَـــدَاةَ مِـــنًى عنـــد الجِمَـــار يؤودهـــا العَقْـــلُ
لَـــوْ بُـــدِّلَتْ أَعْلَـــى مَنازِلِهَـــا سُـــفُلاً وَأَصْـــبَحَ سُـــفْلُها يَعْلُـــو
فَيكـــادُ يَعرِفُهـــا الْخَبـــيرُ بِهَـــا فَـــيرُدُّهُ الإِقْـــوَاءُ وَالْمَحْـــلُ
لَعَرَفْـــتُ مَغْناهَـــا بِمَـــا احتَمَلَـــتْ مِـــنِّي الضُّـــلُوعُ لأَهْلِهَـــا قَبْـــلُ[١٨]

قائلاً: «يا ابن أخي، استر على نفسك، وأكتم على صاحبك، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا، أما تطيّر الحارث عليها حين قلب ربعها، فجعل عاليه سافله؟ ما بقي إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل»[١٩]

هنا يدعو ابن عتيق الشاعر إلى ضرورة الابتعاد عمّا يتطيّر منه، أو يبعث على شؤم المتلقي، بل يتوجب عليه أن يكون كلامه منسجماً وطبيعة الموقف، فضلاً عن اختيار الألفاظ المناسبة.

وتطالعنا السيدة سكينة بنت الحسين (رضي الله عنهما) عندما علّقت على قول الفرزدق عن طريق جارية لها، فقالت: قولي للفرزدق: ألستَ القائل:

---

(١٤)الموشح:٤٨.

(١٥) نفسه ٤٨-٤٩.

(١٦)مقالات في تاريخ النقد:٢٢.

(١٧) هو الحارث بن خالد من بني مخزوم، شاعر وصاحب منصب، لكنه شديد الغزل، ولّاه عبد الملك مكّة ثم عزله، ترجمته في التذكرة الحمدونية: ١٧٩/٦.

(١٨) وردت الأبيات في الأمالي: ١٥/٢، الموشح ٢٦٨، والمثل السائر: ٤٩/٢.

(١٩) أمالي القالي:٥١/٢، و الموشح:٢٦٩.

هُمَـــا دلَّتـــاني مِـــنْ ثمـــانين قامـــةً كمـا انْقَـضَّ بازٍ أَقـتم الـرِّيش كاسـرُه[٢٠]

قائلة: «ما دعاك إلى إفشاء سرك وسرها؟ أفلا سترت على نفسك وعليها».[٢١] هنا انطلقت السيدة في وصيتها من مفاهيم إسلامية تربت عليها وترسخت في ذهنها؛ لذلك نظرت إلى هذا البيت من هذا المضمار، فأوصت الفرزدق بضرورة اختيار مفردات بديلة، ينأى بها عن التشهير بصاحبته، ونظير ذلك تعقيبها على قول جرير:

طَرَقَتْـكَ صـائدةُ القلـوب ولـيس ذا حـينَ الـزيارةِ فـارْجِعِي بسـلامِ[٢٢]

قائلة: «أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها، وقلت: فادخلي بسلام! أنت رجل عفيف».[٢٣]

ومن ذلك قول امرأة لكثير أنت القائل:

فمـا رَوْضَـةٌ بالحَـزْنِ طَيِّبَـةُ الثَّـرَى يَمُـجُّ النـدى جَثْجاثُهـا وعَرَارهـا

بأَطْيَـبَ مِـنْ أَرْدانِ عَـزَّةَ مَوْهِنًـا وقـد أُوقِـدَت بالمَنْـدَل الرَّطْـبِ

فلم ترض هذه المرأة هذا الوصف ، محاولة منها الوقوف إلى جانب المرأة ، والرفع من شأنها، بمعنى أنّها أرادت أنْ تقول له : يتوجب عليك أنْ تجعل الجمال والطيب قرينين لها، وليسا مكتسبين، بدليل أنّها قالت له: «فض الله فاك، أرأيت لو أنَّ ميمونة الزنجية بخرت بمندل رطب أما كانت تطيب؟ ألا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

ألَمْ تَـرَ أَنِّي كلَّمـا جئـتُ طارقـاً وجـدتُ بهـا طيبـاً وإن لَمْ تطيَّـبِ[٢٥]»

فالمتأمل في تعليقات هذه المرأة يجدها توصي بضرورة الدقة في الوصف، لذلك وجدت قول امرئ القيس مناسباً؛ لأنّه وصف هذه المرأة بما تستحقه، إذ إنّه قال: (كلّما جئت طارقاً)، أي من دون موعد، ليشير إلى أنّ جمالها وطيبها راسخان بها؛ لأنّها لم تكن مهيّأة لوضع الروائح بحكم عامل المباغتة.

وإذا ما انتقلنا إلى العصر العباسي فنجد وصايا بشر بن المعتمر[٢٦] (ت ٢١٠هـ) ماثلة أمام القارئ، عندما تحدّث

---

(٢٠) ينظر: الموشح: ٢١٨.

(٢١) الموشح: ٢١٩.

(٢٢) ينظر: الموشح: ٢١٩، ديوان جرير: ٢/ ٩٩٠، وفيه (وقت).

(٢٣) الموشح: ٢١٩.

(٢٤) ينظر: نفسه: ١٩٨، ديوان كثير: ١٤٧، الجثجاث: نبات ربيعي سهلي له زهرة صفراء ذات رائحة طيبة تأكله الإبل، ينظر: لسان العرب: مادة (جثث).

(٢٥) الموشح: ١٩٩، ديوان امرئ القيس: ٤١، وفيه (ترياني).

(٢٦) هو أبو سهل الكوفي، ثم البغدادي، شيخ المعتزلة، توفي سنة ٢١٠ه، ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠٣/١٠.

عن الكيفية التي يتوجب أن يكون عليها الشاعر ساعة نظمه قائلاً: «خُذْ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرمُ جوهراً، وأشرفُ حَسباً،...وإياك والتوعّرَ، فإن التوعّر يُسلمك إلى التَّعقيد، والتّعقيد هو الذي يَسْتهلك مَعانيك،... ومَن أراد معنًى كريماً فَلْيَلْتمس له لفظاً كريماً...إلخ»[٢٧]، فترى بشر بن المعتمر قد سطّر مجموعة من الوصايا من شأنها إرشاد الأديب إلى السبيل الذي يتوجب سلوكه في أثناء النظم؛ لأنّ القريحة لا تتأتى للشاعر في كل حين، لذلك يتوجب عليه النظم ساعات خلو ذهنه مما يكدره، والعيش في حالة من الدعة والاسترخاء الجسدي؛ لأنّ القريحة قد تأبى الحضور، وربّما تستعصي عليه، ومن هذا المنطلق سطّر بشر بن المعتمر هذه الوصايا، كذلك وجدنا الجاحظ (ت٢٥٥هـ) يوصي بتجنب التوعر في الكلام والاستعانة بالوحشي والسوقي؛ لأن السوقي من الكلام لا يفهمه إلّا راطنه، والوحشي لا يفهمه إلّا الوحشي من الناس، فضلاً عن أنّهما يفسدان الكلام؛ لذلك أوصى «أنْ لا يكون عامياً وساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي بأن يكون وحشياً».[٢٨]

ومن الوصايا النقدية قول ابن طباطبا العلوي: «ينبغي للشاعر أنْ يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها»،[٢٩] فضلاً عن وصايا أخرى تتعلق بالنظم. ولم يخرج ابو هلال العسكري عن وصايا مَن سبقه في ضرورة الابتعاد عن التعقيد قائلاً: «وينبغي أن يتجنّب الكاتب جميع ما يكسب الكلام تعميةً، فيرتب ألفاظه ترتيباً صحيحاً، ويتجنّب السقيم منه» [٣٠]. فالمتأمل في هذه الوصايا يجدها تدعو الأديب إلى ضرورة الالتزام بالمقررات والوصايا التي حدّدها بشر بن المعتمر، فكان لوصاياه أثر بالغ في النقاد الآخرين، فهذا أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ) يوصي بتجنب «العويص، والطرق المستوعرة، والألفاظ المستكرهة، وتلزيق المتكلفين، وتغليق أصحاب الأهواء والمتعلمين»[٣١] ونجد ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) يحث الأديب على تعلم العربية؛ لأنّها السبيل المفضي إلى الخلاص من اللحن وما شاكله قائلاً: «فلا ينبغي لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر أنْ يهمل من علم العربية ما يخفى عليه بإهماله اللحن الخفي،

---

(٢٧) البيان والتبيين: ١٣٥/١ -١٣٦، والعمدة: ٢١٢/١.

(٢٨) البيان والتبيين: ١٤٤/١.

(٢٩) عيار الشعر: ٢٠٩، الموشح: ٣٠٢.

(٣٠) كتاب الصناعتين: ١٥٣.

(٣١) البصائر والذخائر: ٣/ ١٧٩.

فإنّ اللحن الظاهر قد كثرت مفاوضات الناس فيه حتى صار يعلمه غير النحوي"[٣٢]

بعد هذه الرحلة السريعة في رحاب النقد العربي نصل إلى المظفر العلوي،[٣٣] الذي سطّر في الفصلين الثاني والخامس من كتابه مجموعة وصايا نقدية، أثارت انتباهي وأنا أتأمل الفكر النقدي لهذا الناقد، ممّا جعلني أحثُّ الخطى على دراسة هذه الوصايا التي لم تنل عناية الباحثين قديماً وحديثاً؛ لذلك جاءت هذه الدراسة لتميط اللثام عن ناقد لم يأخذ حقّه من الدراسة والتمحيص أسوة بالنقّاد الآخرين، لذا سأحاول في الصفحات الآتية اقتفاء أثر المظفر العلوي في وصاياه لشعراء العربية عامة والمولدين[٣٤] خاصة.

حاول في هذه الوصايا تصحيح بعض المسارات والتغيرات التي طرأت على النظم الشعري، بفعل عامل الزمن، والتطور الذهني، والبيئة التي عاش الشاعر في أحضانها. إذ إنّ المتأمل في وصايا المظفر يجد حرصه الشديد على تجنّب الشعراء اللحن وعيوب القافية، ولم يستثن أحداً من الشعراء سواء أكانوا قدماء أم مولدين، ولكنّه ركّز اهتمامه على الشعراء المولدين الذين خرجوا على مقررات عمود الشعر، ممّا شكّل صيحة نقدية تعالت لدي اللغويين والنقّاد المتعصبين للقديم، الأمر الذي دفع المظفر إلى تأليف كتابه (نضرة الإغريض في نصرة القريض)، بغية تحديد موقفه من الشعر، ووضع حدود يتوجب على الشعراء السير على منوالها، وهي حدود سُبق إليها، إلّا أنّه ألبسها ثوباً جديداً رابطاً إياها «بالإعداد النفسي للنظم، والأخذ بأسباب الجودة في الشعر، والرقي في الصناعة»[٣٥]، إذ وضع جملة أمور جوّز للشعراء العمل بها، وأخرى حظر استعمالها، على الرغم من أنّها وردت في أشعار القدماء كاللحن، والتقديم والتأخير المفضي إلى التعقيد والغموض، والإقواء، والإيطاء، والسناد، وكسر نون الجمع، وقطع ألف الوصل، والسرقة، والفاحش من القول...إلخ.هذه الوصايا التي أجملها المظفر في فصلين من كتابه، تؤكد حرصه على الشاعر، سواءً أكان قديماً أم محدثاً، ولتكون هذه الوصايا التي خصّ ببعضٍ منها المولدين رسالة إلى غيرهم من الشعراء بضرورة تجنب الأخطاء التي سبقت الإشارة إليها، بغية النهوض بالشعر

([٣٢]) المثل السائر: ٣٤/١.

([٣٣]) هو المظفر بن الفضل بن يحيى، أبو علي العلوي الحسيني، أديب عراقي، ألّف للوزير محمد بن العلقمي كتاب (نضرة الإغريض في نصرة القريض)، توفي سنة ٦٥٦ه، كشف الظنون: ١٩٥٩/٢.

([٣٤]) يقول ابن منظور (ت ٧١١ه) لفظة مولد من «رجل مولّد: إذا كان عربياً غير محض»، لسان العرب مادة: (ولد)، ويقول الزبيدي (ت ١٢٠٥ه) : «سمي المولَّدُ من الكلام مُولَّدا إذا استحدثوه، ولم يكن من كلامهم فيما مضى»، تاج العروس مادة (ولد) وفي الاصطلاح النقدي يقول ابن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧ه): «سمّي الشاعر منهم مولّداً؛ لأنّه كان عربياً غير محض، فكان شعرهم غير شعر العرب العاربة، ولا يستشهد بأشعارهم في اللغة»، جوهر الكنز: ٤٤٦.

([٣٥]) الشاهد الشعري في النقد والبلاغة: ٢١٣.

والارتقاء به إلى سلم النضج والاكتمال. حدّد المظفر بوساطة وصاياه مفهومه للشعر الذي حدّده بأنّه «عبارة عن ألفاظ منظومة تدل على معانٍ مقصودة».[٣٦] أراد بهذا التعريف الإشارة إلى أنّ الشعر نظْم مقصود في ألفاظه ومعانيه، وليس موطناً لاستساغة المحظور؛ لأنّ النظم ينطوي على فكرة تصب بألفاظ مناسبة لها؛ لذلك سعى المظفر إلى إقرار هذه الوصايا كي يأخذ بها اللاحق للمولد، إذ حدد ما هو جائز بقوله: «الذي يجوز للشاعر المولّد استعمالُه في شعره من الضرورة هو جميع ما استعملَتْه العرب في أشعارها من الضرورات سوى ما أستَثنيه لك، وأبيّنُه لدَيْك.والمولّد في ضرورات شعره وارتكاب صعابها

أعذرُمن العربيّ الذي يقول في لغته بطبعه».[٣٧]في ضوء ما تقدّم، سأحاول تبويب هذه الوصايا، لتكون في متناول القارئ، مبيّناً عن طريقها مدى جدية المظفر وحرصه على النتاج الإبداعي، ومدى تأثّره بمَن سبقه من النقّاد.

(٣٦) نضرة الإغريض: ١٠.

(٣٧) نضرة الاغريض ٢٣٩.